

التناسب بين موضوعات سورة البقرة وفضائلها "دراسة نظرية تطبيقية"

The proportionality between the topics of Surat Al-Baqarah and
"its virtues "A theoretical study

د. عدنان بن محمد أبو عمر¹، أ. حمد براء بن عبدالغني الصباغ²

¹ الكلية الجامعية للآم والعلوم الأسرية، (الإمارات)، draboomar@hotmail.com

² جامعة يلووا (تركيا)، m.baraa.sab@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/20 تاريخ القبول: 2022/04/04 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان طبيعة المناسبة بين موضوعات سورة البقرة وفضائلها، وأن هذه الفضائل بُنيت في حقائقها وأبعادها على نفاسة تلك الموضوعات وأهميتها في بناء منظومة من القيم والمثل العليا، ذلك أن الفضائل لم تكن إلا نتيجة منطقية لتناسق الموضوعات في السورة الواحدة، فما انبثقت تلكم الفضائل إلا بعد تكامل الموضوعات القرآنية مما يؤكد أن القرآن وحي من رب العالمين نزل به الروح الأمين على أشرف الأنبياء والمرسلين { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء: 192 - 195]

الكلمات المفتاحية: المناسبة؛ البقرة؛ الموضوعات؛ الفضائل.

Abstract:

This paper aims to present the relationship between the virtues of surat Al Baqarah and its topics, and to prove that these virtues are based on the invaluable topics of the surah, which have an exhaustive impact in building valuable ethics. These virtues came from the incredible integration of the Quranic topics, which proves that the Quran is a revelation from god, brought by a generous angel to the noblest of prophets and messengers to give the nation a complete holy book that the topics and virtues of surahs are creating in a fascinating manner.

Keywords: relation, albaqarah, subjects, virtues.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

إِنَّ الحمد لله نعمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو الآية العظمى التي أيد الله بها نبينا محمداً ﷺ، فقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: ((ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة)).¹

وإن القارئ المتأمل لكتاب الله جلّ وعلا يدرك من الوهلة الأولى عظمته وقوة بلاغته، وروعة دلالته وإعجازه؛ فهو بحق جدير بأن يكون الكتاب الخاتم المهيمن على ما قبله من الكتب، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّين أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88] كيف لا وهو معجزة الله الكبرى وكتابه الخالد، قال سبحانه تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهِمِّنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

هذا الكتاب الذي يهر بنظمه أرباب الفصاحة والبلاغة، وحيّر ذوي الألباب بما حوى من فنون النظم، وكنوز العلوم والمعارف التي كانت ولا تزال موضع عناية العلماء ودراسهم على اختلاف تخصصاتهم واتجاهاتهم، وتاج هذه الدراسات هو "الإعجاز القرآني" على اختلاف موارده وتنوع مصادره وجوانبه.

وإن الناظر في هذا الجانب يجد تعدّد أنواع الإعجاز في القرآن، وتنوّع صوره وألوانه، وتشعب فروعه وموضوعاته، ولعلّي في هذا البحث أقف على جانب إعجازي يُبين حقيقة العلاقة بين فضائل السور القرآنيّة وموضوعاتها، جاعلاً من سورة البقرة وما صحّ فيها من فضائل أنموذجاً عملياً للدراسة، موضحاً العلاقة بين فضائلها وبين موضوعاتها؛ ذلك أن هذه الفضائل جاءت خلاصة تناسق الموضوعات وغاية تناغمها، وما انطوت عليه من موضوعات مثّلت قيماً ومثلاً ضابطة فاعلة في بناء شخصية المؤمن وسلوكياته.

¹ أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، (182/6)، كتاب فضائل القرآن، باب أول ما نزل من الوحي، حديث رقم (4696).

ومسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان- بيروت، دار إحياء التراث العربي، (134/1)، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم (152).

على أن تفرّد سورة بعينها بفضائل محددة إنما يتبع تخصيص تلك الفضائل بموضوعات السورة وانطباقها عليها، وهذا غاية في الدقة والإحكام الذي يعتبر من مؤكّدات تفوق القرآن وإعجازه.

وقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع الرّغبة الصّادقة في معايشة معاني فضائل سورة البقرة، والتفويّ بظلال ما حملته من دلالات وقيم عقديّة وسلوكيّة متنوعة، والتأمّل الطويل في حقيقة العلاقة بين فضائل السور القرآنية وموضوعاتها؛ ذلك أن هذا الموضوع لم يتطرق إليه أحد - حسب علمي وإطلاعي - بالبحث والدراسة.

وتبرز إشكالية البحث في الإجابة عن تساؤل تخصصي صياغته: هل توجد علاقة بين فضائل السورة وموضوعاتها؟ وماهي طبيعة تلك العلاقة؟ وهل كانت حقاً تلك الفضائل منبثقة عن تناغم الموضوعات في السورة الواحدة؟

وقد قصرت بحثي على ما ثبت بالرواية الصحيحة من فضائل لسورة البقرة؛ نزولاً عند شروط البحث العلمي وقواعد النشر - التي تتطلب تحديد البحث بصفات محددة -.

واقترضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسّمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو

الآتي:

المقدمة: وبينت فيها سبب اختيار الموضوع وخطته والمنهجية المتبعة فيه.

المبحث الأول: العلاقة بين موضوعات السور وفضائلها دراسة نظرية

المطلب الأول: موضوعات السور ضمن مفهوم التفسير الموضوعي

المطلب الثاني: دراسة نظرية لوجه العلاقة بين موضوعات السور وفضائلها

المبحث الثاني: العلاقة بين موضوعات السور وفضائلها دراسة تطبيقية

المطلب الأول: امتيازات سورة البقرة

المطلب الثاني: فضائل سورة البقرة.

المطلب الثالث: موضوعات سور البقرة وعلاقتها بالفضائل.

الخاتمة: وبينت فيها ما توصّلت إليه من نتائج وتوصيات.

وقد اعتمدت المنهج الاستقرائي: حيث استقرأت ما صحّ من فضائل سورة الفاتحة، ووقفت على موضوعاتها المتباينة، وكذلك المنهج التحليلي التطبيقي: حيث قمت بدراسة تحليلية تطبيقية لما صحّ من فضائل لسورة البقرة وذلك من خلال صياغة العلاقة بينها وبين موضوعاتها واسمها وذلك بعد الوقوف على محورها العام.

هذا وإنني لا أدعي السبق في الكتابة في كل جزئيات الموضوع إلا أنني لم أقف على دراسة تبين أوجه التناسب ووجه العلاقة بين فضائل سورة البقرة و موضوعاتها، وإن كانت قد كتبت في ذلك دراسات خاصة في فضائل السور عامة مثل كتاب: "فضائل سور القرآن دراسة ونقد" لإبراهيم علي السيد، مصر- القاهرة، دار السلام، ط5، 2010م. وكتاب: "الصحيح في فضائل القرآن" لفاروق حمادة، سوريا- دمشق، دارالقلم، ط3، وأخرى عنيت ببيان تنوع موضوعات سور القرآن الكريم مثل كتاب: "محتويات سور القرآن الكريم" لأحمد الطويل، السعودية - الرياض، دار الوطن للنشر، ط1. ورسالة دكتوراة بعنوان: " حقيقة العلاقة بين اسم السورة القرآنية وموضوعاتها " لعمر عرفات، الجامعة الأردنية. وبحث محكم بعنوان: "الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة" لطله عابدين حمد، مجلة جامعة أم القرى، العدد (45)، 1433هـ.

وهذه الدراسات الآتفة الذكر قد ذكرت الفضائل سرداً دون الموضوعات أو العكس، دون صياغة رابط يمكن من خلاله الوقوف على حقيقة العلاقة بينهما ومدى الترابط الوثيق بين أفراد جزئياتها.

هذا وإنني لأرجو أن أوفق إلى ما أتطلع إليه، مع ضراعتي إليه تعالى أن يُلهمني الصواب والسداد، ويجنبني الخطأ والزلل، وأن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه إنه أكرم مسؤول.

المبحث الأول: العلاقة بين موضوعات السور وفضائلها دراسة نظرية:

المطلب الأول: موضوعات السور ضمن مفهوم التفسير الموضوعي:

لما تتابعت الأبحاث والدراسات القرآنية في تناول قضايا التفسير الموضوعي، وذلك لما دعت إليه الحاجة العلمية، كان تطبيق الجانب النظري في هذا الفنّ ما زال بحاجة لمزيد تدقيق وتخرج، إلا أنّ النتاج العلمي كان سريعاً متصاعداً لا يواكب تلك الدراسات النظرية والمحققة لطبيعة هذا اللون من التفسير.

ونتيجة لذلك تباينت آراء الباحثين في جملة من القضايا المتعلقة بأصول هذا الفنّ، والذي يعيننا هنا قضية اعتبار موضوعات السورة الواحدة ضمن التفسير الموضوعي، ويمكن جمع أقوال الباحثين في ذلك إلى قولين:

الأول: اعتبار موضوعات السورة الواحدة من التفسير الموضوعي، وإلى ذلك أشار الدكتور مصطفى مسلم -وغيره من أهل الاختصاص-² في ترجيحه لتعريف التفسير الموضوعي بقوله: ((هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)).³

الثاني: استبعاد موضوعات السورة الواحدة ضمن التفسير الموضوعي.⁴

ومنشأ الخلاف وأصله، بالإضافة إلى كون هذا اللون من التفسير لم تستقر ضوابطه، هو اختلافهم في قضية الوحدة الموضوعية⁵، فمن قال بها أثبت كون موضوعات السورة تندرج ضمن التفسير الموضوعي، ومن نفاها استبعد اعتبار موضوعات السورة ضمن التفسير الموضوعي. وأدلة القائلين بالوحدة الموضوعية تكاد تكون أقرب لتوظيف دعائم التفسير التي من خلالها يظهر مراد الشارع، وقد استدلل القائلون بالوحدة الموضوعية، بالعمل الذي جرى عليه بعض المتقدمين -كالرازي والبقاعي- من توظيف موضوعات السورة المختلفة لتحقيق غاية كبرى إليها تشير الموضوعات مجتمعة.

كما قرّر الشاطبي ذلك في كتابه الموافقات، حيث بيّن أنّ لكل سورة وحدة فنية تتعلق بالنظم.⁶

وأما من خالف في ذلك فإنه نظر إلى نتاج تلك الدراسات وطبيعتها، فوجد أنّ كثيراً منها لا ينضبط وفق قواعد علمية محددة، وإنما هي اجتهادات قد تختلف باختلاف المدخلات العلمية للسورة الواحدة.

² ينظر صلاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، (ص:132)، وغيره.

³ مصطفى مسلم (معاصر)، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، ط4، 2005م، (ص:16).

⁴ ينظر عبد الستار السعيد، المدخل للتفسير الموضوعي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، (ص:51).

⁵ ينظر زيد عمر عبدالله العيص، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط1، 2005م، (ص:116).

⁶ الشاطبي (790هـ)، الموافقات، (3/415).

قال الدكتور الدغامين مؤكداً رأيه في نفي الوحدة الموضوعية: ((إن المنشغلين من أهل التفسير وعلوم القرآن لم تبلور لديهم منهجية شمولية في البحث في الوحدة الموضوعية، في سور القرآن، وإنك لترى البون الشاسع في كتاباتهم، والمنهجية المضطربة التي تسود تلك الكتابات في تقريرهم لموضوع السورة الواحدة)).⁷

والذي يظهر أنّ القول باستبعاد موضوعات السورة الواحدة من التفسير الموضوعي لعدم صحة اعتبار الوحدة الموضوعية في ذلك فقط يصعب اعتباره، ذلك أن اختلاف العلماء في بيان الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة لا يعني نفي جميع الجهود العلمية في ذلك، وإنما تؤخذ كلها بعين الاعتبار في تشكيل منظومة من القيم والضوابط الأخلاقية التي أشارت إليها السورة، سواء اعتبرت وحدة موضوعية متناسقة أم لا، فوجهات النظر في ذلك متباينة ولا تعارض بينها، وما يخلص إليه أحدهم قد لا يتوافق معه الآخر، وهذا لا يعني بالضرورة أنّ الجميع قد جانب الصواب، بل هي جهود يتكامل بنائها في رصف جملة من المعارف التي تدعو إليها موضوعات السورة الواحدة.

المطلب الثاني: دراسة نظرية لوجه العلاقة بين موضوعات السور وفضائلها:

لقد عمد أهل التفسير وعلماء القرآن على اختلاف مدارسهم وتنوع مناهجهم بين معقول، ومنقول، ولغوي، وفقهي على سبر الموضوعات القرآنية⁸، والوقوف على أوجه الإعجاز فيها، حيث جاءت غاية في الانسجام والترابط الدقيق بين جزئياتها؛ لما انطوت عليه من جملة العوامل المسهمة في ترابط الموضوع واتساقه، كوحدة الفكرة وانسجام النصّ، وترابط أجزائه.⁹

ثم توالى الدراسات القرآنية والتفاسير العلمية التي تناولت البحث في موضوعات السور القرآنية كتفسير الألوسي (1270هـ)، وابن عاشور (1393هـ) ومحمد رشيد رضا (1354هـ) وقد كان الألوسي يقف على وجه الربط بين موضوعات السورة والسورة السابقة، ويعبر عن ذلك في بعض المواضع بوجه اتصال موضوعات السورة بما قبلها.

يقول رحمه الله تعالى في مقدمة تفسيره لسورة النور: ((ووجه اتّصالها بسورة المؤمنين أنه سبحانه لما قال فيها {والذين هم لفروجهم حافظون} ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك والأمر بغض البصر والدعوة إلى تزويج الأيام)).¹⁰

⁷ زياد الدغامين، منهجية البحث التفسيري الموضوعي. دار البشير، عمان-الأردن، ط1، 1995م، (ص:73).

⁸ من ذلك عناية الرازي (ت: 606هـ) في مفاتيح الغيب، ثم تبعه ابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ) في كتابه الموسوم بالبرهان في ترتيب سور القرآن، ثم جاء البقاعي (885هـ) في موسوعته نظم الدرر في تناسب الآي والسور مبينا جملة من القضايا المنهجية في ذلك، وغيرهم.

⁹ ينظر محمود الهواشة، الاتساق في تماسك النص سورة يوسف مثالا، دار الرنيم، عمان-الأردن، ط1-2017، (ص:62).

¹⁰ ينظر الألوسي (1270هـ)، روح المعاني، (164/18).

وهذه التفاسير والدراسات على تعددها وجودتها العلمية إلا أن ضبط مفاهيم الموضوعات القرآنية كان لا يزال بحاجة إلى مزيد عناية ورعاية، فقد تطلق المقاصد ويراد بها الموضوعات، إلى جانب اللبس الحاصل في التفريق بين الأغراض والمحاور القرآنية.¹¹

وإلى ذلك أشار فضيلة الدكتور مصطفى مسلم¹² في مقدمته لمشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، فقال: ((فإن التفسير الموضوعي نوع من أنواع التفسير الذي بدأت أصوله ترسخ، ومناهجه تتضح منذ نصف قرن من الزمن، إلا أن جانب التطبيق العملي غلب على الدراسات التأصيلية وبخاصة الموضوع القرآني، حتى صار يخيل لكثير من طلبة العلم أنه اللون الوحيد للتفسير الموضوعي، أما اللونان الآخران: المصطلح القرآني والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية فقد هضم حقهما ولم يحظيا بمزيد دراسة وتحقيق))¹³

ويشير د. ماهر حسين حصوة¹⁴ إلى ما قد ترتب على عدم التفريق الدقيق بين تلك المصطلحات - (المقاصد، الموضوعات، الأغراض، المحاور) فيقول: وعند تتبع ما سطره المعاصرون في هذا الموضوع نجد أن ثمة إشكالية تتمثل في الخلط بين مفهوم المقاصد، والموضوعات أو المحاور الرئيسة التي يدور عليها، وقد أفضى هذا الخلط إلى تباين في تحديد تلك المقاصد: فأغلب ما صرفت إليه دلالة الاستعمال أنه يرد بمعنى القضايا الأساسية التي تتناولها سور القرآن، وقد حددها ابن عاشور بثمانية مقاصد.¹⁵

والذي يظهر أنّ ضبط هذه المصطلحات وتحديد دلالاتها المعرفية عند أهل التفسير مما يشكل؛ وذلك لأنها جاءت على نسق غير منضبط، إلا أنّ من وقف على صنيع البقاعي (885هـ) كما في كتابه "مصاعد النظر" وما عليه كثير من المتأخرين كالألوسي (1270هـ) ومحمد رشيد رضا (1354هـ) وابن عاشور (1393هـ) أدرك أنهم يريدون بالمقاصد مجموعة الأغراض الكلية التي تشير إليها محاور السور والتي تكون على هيئة موضوعات مترابطة ينتظم بها السياق.

¹¹ ينظر جهاد محمد النصيرات، التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية، بحث نشر في مجلة الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، 2013م، (ص:33).

¹² هو فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم محمد، صاحب رسالة دكتوراة بعنوان "إعجاز القرآن الكريم" وولد الدكتور عديد المؤلفات العلمية والأكاديمية المتعلقة بتفسير القرآن، الكريم وعلومه المتنوعة.

¹³ ينظر، مصطفى مسلم ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، ط1، 2010م، (ج: المقدمة).

¹⁴ هو فضيلة الدكتور ماهر حسين حصوة، حاصل على درجة الدكتوراة في الفقه وأصوله من الجامعة الأردنية، ويعمل حالياً في جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، وله عديد المؤلفات العلمية في مجال الفقه وعلومه، وبناء الحضارة من منظور قرآني.

¹⁵ ينظر ماهر حسين حصوة، مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند المعاصرين، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 89، 2017م، (ص:155).

ولقد حددت بعض الدراسات القرآنية موضوعات السور وضبطتها من خلال النظر في اسمها، وهو نوع متكلف إذا أخذ على عمومها، وذلك لتعدد الأسماء الصحيحة الواردة في السورة الواحدة، واختلاف دلالات كل اسم منها.

ولقد قصدت في هذه الدراسة النظر إلى موضوعات السور وطبيعة علاقتها مع ما صحَّح في فضائلها، فوجدت أنَّ الفضائل جاءت ناطقة عن جملة من موضوعات السورة الواحدة، ومبيّنة لعدد من المحاور التي تدور حولها السورة، ويظهر تمام ذلك عندما تتعدد فضائل السورة الواحدة فنجد أنَّ جميعها جاء في سياق واحد يبين نفس العلاقة التي أشارت إليها الفضيلة الأولى.

كما أنَّه قد ترد بعض الفضائل في سياقات مختلفة، لا يظهر من خلالها وجه المناسبة فيما بينها، إلا أنَّه عند جمع موضوعات السور الواحدة وربطها بمحورها العام نجد أنَّ الفضائل قد جاءت متكاملة في بيان جملة تلك الموضوعات.

المبحث الثاني: العلاقة بين موضوعات السور وفضائلها دراسة تطبيقية:

المطلب الأول: امتيازات سورة البقرة:

سورة البقرة هي ثاني سور القرآن الكريم كما في الترتيب المصحفي، وعدد آياتها مئتان وست وثمانون.¹⁶ وقد ورد في فضلها عديد الآثار والأخبار الدالة على علوّ مكانتها وعظيم شأنها في القرآن الكريم، من ذلك ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: ((إنَّ لكل شيء سنماً، وسنّام القرآن سورة البقرة))¹⁷.

وقد امتازت السورة بأمور منها:

- 1- أنها أول سورة نزلت في المدينة المنورة، وهي أطول السور تنزلاً على الحبيب ﷺ - فقد امتدت فترة نزولها من أول العهد المدني حتى وفاة النبي ﷺ.
- 2- فيها أعظم آية في كتاب الله - آية الكرسي.¹⁸
- 3- فيها اسم الله الأعظم.¹⁹
- 4- أكثر سور القرآن تعداداً للآيات - وذلك بواقع مئتين وست وثمانين آية.
- 5- فيها أطول آية في كتاب الله - آية الدين.

¹⁶ ينظر الداني (ت:444هـ)، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو، البيان في عد آي القرآن، تحقيق غانم الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط1، 1994م، (ص:140).

¹⁷ أخرجه الحاكم (ت:405هـ)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 1411هـ، (2/285)، كتاب:التفسير، باب سورة البقرة، حديث رقم(3027).

¹⁸ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (556/1)، حديث رقم (810).

¹⁹ أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء، (80/2)، حديث رقم (1496).

المطلب الثاني: فضائل سورة البقرة:

أ- حصول البركة بأخذها:

وذلك لما ورد من حديث أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»²⁰. وفي الحديث الشريف حثّ نبوي صريح على ضرورة العناية بسورة البقرة، والإكثار من تلاوتها، لما خُصّت به من أمور يمكن جمعها فيما يأتي:

1- حصول البركة بأخذها:

والمراد بالبركة إذا أطلقت ثبوت النماء في الشيء، وحصول المنفعة فيه، حسية كانت تلك المنفعة أو معنوية. وقد جيء بها نكرة لا معرفة لتذهب فيها النفس كل مذهب، وقد دلّت فضائل السورة على حقيقة تلك البركة ومدى ارتباطها الوثيق بحياة المؤمن، فهي سبيل لتنزّل الملائكة وقربها من العبد، وبذلك يتحصّن المؤمن بسلح الإيمان فلا يقترب منه شيطان، بل ينفر من البيت الذي هو فيه كما في الحديث الصحيح²¹، وهذا ما أرشدت إليه فضائل السورة كما سنبينه تباعاً. والتعبير النبوي "بالأخذ" له قيمته الدلالية في معرض السياق، فهو مشعر بطبيعة التعامل مع هذه السورة الكريمة، فقراءتها بركة، وحفظها بركة، وتدبرها بركة، وتفسير آياتها بركة، والاستماع إليها بركة، فبأخذها يرتقي العبد منازل الأخيار ويظفر بالبركة الموعود بها كما صحّ في الخبر النبوي.

وقد خُصّت البقرة بهذا الفضل بعد اختصاص البقرة وآل عمران عن باقي سور القرآن، فهو تخصيص بعد تخصيص، ففي الحديث: ((اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة))²².

والإشارة الطيبي (ت: 743هـ) بقوله: قوله ﷺ ((اقرأوا سورة البقرة)) تخصيص بعد تخصيص، عمّ أولاً بقوله: ((اقرأوا القرآن)) وعُلّق به الشفاعة، وخصّ منه ثانياً الزهراوان، ونيط

²⁰ جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث أبي أمامة الباهلي، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (553/1)، حديث رقم (804).

²¹ ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)).

أخرجه مسلم في صحيحه، صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث رقم (780).

²² أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث أبي أمامة الباهلي، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (553/1)، حديث رقم (804).

د. عدنان بن محمد أبو عمر، أ. حمد براء بن عبد الغني الصباغ

بهما معنى التخليص من كرب حرّ القيامة، والمحااجة عن أصحابهما. وأفرد ثالثاً ((البقرة)) وضمّ إليها المعاني الثلاثة، دلالة على أن لكل منها خاصية لا يقف عليها إلا صاحب الشرع.²³

2- حصول الحسرة بتركها:

إن حصول (الحسرة بالترك) مع (وقوع البركة بالأخذ) لهما أمران متلازمان، فمن فاتته البركة حصلت له من المعاني ما يخالفها من قلة وشدة ندامة، وهو ما عبّر عنه الشارع بالحسرة.

3- عدم استطاعة البطلة عليها:

وللعلماء في بيان حقيقة "البطلة" وتحديداهم عدة مسالك²⁴، يُخلص منها إلى أنهم:

(1) السحرة: وتوجيه ذلك أن النبي ﷺ قد سماهم باسم فعلهم، وذلك أن ما يأتونه هو الباطل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا كُرًّا مَّوَزَّكَرًا ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَةَ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11] فلا يقدرّون على حفظ سورة البقرة ولا على إيصال سحرهم لمن تحصّن بها، لأمر منها:

(أ) لزيغهم عن الحق واتباعهم لوساوس الشياطين، وانشغالهم بالباطل.

(ب) لما في سورة البقرة من عظيم المعاني الإلهية، التي تقض مضاجع الكفرة وتثبت الوحداية لله تعالى بذكر اسمه الأعظم وصفاته العليا.

(ت) لما في سورة البقرة من بيان أخبار السحر والسحرة وعاقبة أمرهم، كما في خبر هاروت وماروت، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102].

وقيل إن المراد بالسحرة هنا هم [سحرة البيان] فقد تحداهم الله عز وجل فيها بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: 38] فأفحموا وعجزوا.

وهو من قوله: ﷺ: ((إن من البيان سحراً))²⁵.

(1) أهل البطالة وأصحاب الدعة والخمول: فلا ترقى بهم أنفسهم لغرف معانيها، ولا حتى

لتلاوة ألفاظها.

(2) الشجعان من أهل الباطل: فهم رغم جلدتهم وشدة أمرهم إلا أنهم لا يوفقون لنيل

مكارمها وعظيم فضلها.²⁶

²³ الطيبي (ت: 743هـ)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي مشكاة المصابيح، تحقيق: عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار الباز، الرياض- السعودية، ط 1، 1417هـ، (1642/5).

²⁴ ينظر المناوي (ت: 1031)، زيد الدين محمد ويدعي بعبدة الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط 1، 1356هـ، (139/4).

²⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا، (2176/5)، حديث رقم: (5434).

²⁶ واللغة تحتمل كلا المعنيين جميعا، فقد تطلق مادة (ب ط ل) لاويراد بها البطولة وقد يراد بها البطالة بمعنى الكسل والخمول. ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: ب ط ل، (ص: 136)، ((والبطال: الشجاع سبي بذلك لأنه يعرض نفسه للمتالف، ورجل بطل ذو باطل بئن البطول)).

ب- تنزل الملائكة لقراءتها:

ودليل ذلك خبر أسيد بن حضير -رضي الله عنه- أنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه فلما اجتريه رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: «وتدري ما ذاك؟»، قال: لا، قال: ((تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتواري منهم))²⁷.

قوله -رضي الله عنه- ((دنت لصوتك)) فيه دلالة واضحة المعنى أن السبب وراء تنزل الملائكة لاستماع قراءة أسيد هو حسن صوته وعذوبة تلاوته، وإلى ذلك أشار النووي-رحمه الله تعالى-، وأكد ذلك بما ورد أن أسيدا رضي الله عنه- قد أوتي زمزماً من مزامير آل داود. وهو بذلك يشير إلى أن الفضل الوارد في الأثر السابق يعود لتلاوته ﷺ لا لفضيلة السورة نفسها، وقد خالفه في ذلك ابن حجر-رحمه الله تعالى- بقوله: ((فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة - وهي البقرة - بصفة خاصة))²⁸.

وإلى ذلك تميل النفس، وبه يمكن الجمع بين النصوص، فقد ورد في صحيح ابن حبان والمستدرک للحاكم قوله ﷺ: ((تلك الملائكة نزلت لقراءتك سورة البقرة، أما لو مضيت لرأيت العجائب)).²⁹ ويعضد ذلك ما ورد في خبر أشياخ المدينة أنهم حدثوا رسول الله ﷺ فقالوا له: يا رسول الله ألم تر دار ثابت بن قيس؟ لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح. فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ((فلعله قرأ سورة البقرة)) فسئل ثابت فقال: هو ذاك.³⁰ ففي ذلك التصريح بذكر اسم السورة وتحديدها، وعدم إطلاق الحكم على مجرد إجادة التلاوة وحسنها كما قد يفهم من ظاهر رواية الإمام مسلم -((دنت لصوتك))-.

²⁷ أخرجه البخاري بلفظه، عن أسيد بن حضير -رضي الله عنه-، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، (190/6).

حديث رقم (5018): ومسلم بنحوه، كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، (63/9)، حديث رقم (796).

²⁸ ينظر ابن حجر، فتح الباري، (64/9).

²⁹ ابن حبان، من حديث أسيد بن حضير -رضي الله عنه-، باب قراءة القرآن، (58/3) برقم: (779)، وصححه.

³⁰ أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب فضل القرآن، والاستماع إليه، (ص: 27).

ت- طاردة للشيطان: ودليل ذلك:

حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))³¹.

في الحديث بيان جملة من المعاني، منها ضرورة قراءة سورة البقرة والعمل بها واستخلاص عبرها ومعانيها والكشف عن كنوزها المعرفية والعملية والتي بدورها تسهم بشكل فاعل في مراغمة الشيطان وطرده.³²

وبيان ذلك أن قوله ﷺ ((إن الشيطان ينفر)) تعليل للنهي السابق ذكره ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر))، والمراد لا تكونوا كالموتى في القبور عارين عن القراءة والذكر غير منفيرين للشيطان.³³

المبحث الثالث: موضوعات سورة البقرة وعلاقتها بالفضائل:

لقد تعاضدت موضوعات سورة البقرة على اختلاف طرحها في تقديم صورة مختلفة للإنسان ودوره المنوط به، وهي في الحقيقة رؤية تختلف اختلافاً جذرياً عن كل ما سبقها، فلقد أكدت موضوعات السورة إلغاء تلك النظرة الدونية التي كان ينظر من خلالها أصحاب الديانات السابقة للإنسان.³⁴

فلقد وجد المسلم نفسه أمام موضوعات قرآنية تؤكد له على طول سردها وتخبره أن الملائكة على رفعة شأوها قد سجدت له، هذه الملائكة التي لطلما كان ينظر لها نظرة فوقية وصلت في بعض الثقافات إلى درجة التقديس حتى جاء القرآن وألغى كل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة:34] الآية.

وحق للكتاب الخاتم الناسخ لكل ما سواه أن يمنح الإنسان هذه الأفضلية ويعيده لمكانته الطبيعية ألا وهي الخلافة في الأرض.³⁵

³¹ أخرجه مسلم في صحيحه، صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث رقم (780).

³² الطيبي (ت:743هـ)، شرف الدين الحسين بن عبد الله، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار مصطفى الباز، الرياض-السعودية، ط1، 1997م، (5/1641).

³³ ينظر الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:743هـ)، شرح مشكاة المصابيح "الكاشف عن حقائق السنن"، تحقيق: د.عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض-السعودية، ط1، 1997م، (5/1640).

³⁴ ينظر العمري، أحمد خيرى العمري، البوصلة القرآنية، دار المعرفة، القاهرة-مصر، ط1، 2016م، (ص:238 وما بعدها).

³⁵ المصدر السابق (ص:240).

وإلى ذلك نبّه الدكتور مصطفى مسلم عندما ذكر أن سورة البقرة نزلت بعد أن صار للمسلمين دولة وأرض فناسب أن يخاطبوا لورثة الاستخلاف الإلهي لهم وعلى ذلك تكاد كلمة المعاصرين تجتمع.³⁶

ولأن منهج الاستخلاف في الأرض له دستور اسمه القرآن فقد افتتحت سورة البقرة بعدة أوصاف تليق بكمال هذا المنهج الرباني العظيم، وقد جاء إثبات ذلك على النحو الآتي:

(1) كماله في تحدي إعجازه، وذلك من خلال افتتاح السورة بالحروف المقطعة {الم}. [البقرة:1]

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: ((كل سورة تبتدئ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن، وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب)).³⁷

(2) كمال منزلته وعلوه، وبيان ذلك قوله تعالى: {ذلك}. [البقرة:2]

فإن الإشارة بـ "ذلك" للتعظيم، وتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحقيقي.³⁸

(3) كمال مضمونه ومحتواه، وتأكيد ذلك قوله تعالى: {الكتاب}. [البقرة:2]

فإن لام التعريف الدالة على الاستغراق تنوّه إلى أن هذا الكتاب بالغ حد الكمال بين الكتب، وكماله شامل لجميع معانيه ومفرداته.

(4) كماله في سلامته من النقص، قال سبحانه: {لا ريب فيه}. [البقرة:2]

وأصل الريب القلق واضطراب النفس، والمعنى أنه ليس فيه ما يوجب ارتياباً في صحته ولا اضطراباً في معانيه.³⁹

(5) كماله في غاياته ومقصده، وتحقيق ذلك بقوله تعالى: {هدى للمتقين}. [البقرة:2]

ثم تناولت موضوعات السورة تصنيف المخاطبين بتطبيق هذا المنهج القرآني -منهج الاستخلاف في الأرض- إلى مؤمنين، وكافرين، ومنافقين، وبَيّنت الآيات عبر تسلسل موضوعاتها، نموذج الاستخلاف التمهيدي الأول وإعلان بداية مسؤولية سيدنا آدم -عليه السلام- وذريته على الأرض، وكيف أنّ ذلك كان على مرأى ومسمع كل من الملائكة المكرمين وإبليس على حد سواء.

³⁶ ينظر التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير والقرآن بإشراف فضيلة الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات- الشارقة، ط1-2010، (27/1).

³⁷ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (428/4).

³⁸ ينظر السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ)، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1987م، (184/1).

³⁹ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (220/1).

ثم توجه التصوير القرآني بعد ذلك لوصف النموذج القرآني الثاني من نماذج الاستخلاف، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلَيْ فَضَلَّتْكُمْ عَلَى الْغَالِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: 47] فهم -أي بنو إسرائيل- الأمة المستخلفة التي سبقت أمة النبي محمد ﷺ.

وقد تعرّضت موضوعات السورة إلى بيان سبب سلب الخلافة منهم وفشلهم في تطبيق هذا المنهج الرباني العظيم، وذلك من خلال رصد ما زاد على ثلاثين مخالفة لأوامر الملك سبحانه، منها:

1- اعتداؤهم على أمر الله ومخالفة أمره، وقد نهوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِيَةً ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: 65]

تحريفهم لكلام الله تعالى في التوراة، قال تعالى: ﴿* أَفَقَطَّمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْحِقُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: 75]

2- تكذيبهم لرسول الله تعالى وقتلهم، قال تعالى: ﴿* أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: 87]

3- عبادتهم العجل، قال تعالى: ﴿* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة: 92]

4- عداوتهم لرسول الوحي -جبريل عليه السلام-، قال تعالى: ﴿* مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: 98]

5- التشدد والتعنّت في خبر ذبح البقرة⁴⁰، مع قسوة القلب وعدم الاعتبار بإحياء الموتى، قال سبحانه وتعالى: ﴿* ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: 74]

وقد جسّدت قصة البقرة جملة من الأخطاء المركزية التي من خلالها لم ينجح نموذج الاستخلاف الخاص بهم، فهي وإن كانت بقرة لهم لكنها مثلٌ وعبرة لنا، حتى لا نراوغ كما فعلوا حتى نكاد أن نعبد الله وما نكاد نفعل كما ذبحوها وما كادوا يفعلون.

وبعد استعراض نموذج بني إسرائيل، والإسهاب في بيان وجه عدم استحقاقهم خلافة الأرض، جاءت آيات تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، قال تعالى: ﴿* قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: 144]

⁴⁰ ينظر أحمد الطويل، محتويات سور القرآن الكريم، مدار الوطن للنشر، الرياض- السعودية، ط1، 2013م، (ص: 27 وما بعدها).

وفي ذلك نقل الخطاب وتوجيهه لأمة النبي ﷺ، فقد بينت الآيات من خلال تتابع موضوعاتها إلى تأكيد أركان الإسلام الخمسة، وركائز الإيمان الستة، مع بيان جملة من قضايا المعاملات وأحكام الأسرة ومعالج الاقتصاد ودعائمه، وذلك كله لتحقيق غاية كبرى إليها أشارت السورة بموضوعاتها المختلفة وهي التقوى، فقد تكررت مادة التقوى في السورة بضعا وثلاثين مرة.

وفي ذلك تنبيه لأمة الخلافة القادمة ومزيد عناية ورعاية لها، فهل سكرر النموذج الخاص ببني إسرائيل؟ أم أنها سترسم خارطة خاصة بها عنوانها {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: 285] تكراراً للنموذج الناجح السابق ذكره في السورة- نموذج الخليل إبراهيم عليه السلام- الذي جسّد فيه قوله تعالى: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 128]

العلاقة بين فضائل سورة البقرة وموضوعاتها:

لقد تتابعت فضائل سورة البقرة على تقرير أمور ثلاثة:

(1) تنزل الملائكة عند قراءتها.

(2) نفور الشياطين من البيت الذي تقرأ فيه.

(3) حصول البركة بأخذها والحسرة بتركها.

ومن وقف على جملة الموضوعات التي تناولتها السورة، أدرك أن اختصاصها دون غيرها بتلك الفضائل لم يكن نتيجة عشوائية، وإنما جاء لتفردا بطرح موضوعات مركزية متعلقة بما أشارت إليه فضائلها، فقد تفردت السورة بتناول عدد من القضايا المتعلقة بالعالم الملائكي ونقيضه الشيطاني، كما لم يرد في غيرها من سور القرآن، ومن ذلك:

(أ) تفردا بذكر حقيقة ما جرى في قضية الاستخلاف الأول، ودور الملائكة في صياغة طبيعة تلك العلاقة مع بيان أصل العداوة الأزلية لإبليس:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَكَ بِأَسْمَاءٍ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة 30-34].

لقد مهدت الآيات عبر تسلسل أحداثها إلى قضية الاستخلاف الأول، وصوّرت بعض التفاصيل الدقيقة التي دارت بين الملائكة وإبليس، ثم أكدت حقيقة التناقض بينهما، فالملائكة خضعت لأمر الملك سبحانه وتعالى، وسجدت للكائن الجديد - آدم عليه السلام - تعبداً لله بأمره؛ لأنها وقفت على رفعة علمه ومكانته، حتى أضحت تضع أجنتها لطالب العلم من بنيه⁴¹ اعترافاً منها بفضلهم عليهم.

بخلاف الحال مع إبليس فقد ثبتت عداوة الشيطان لآدم وبنيه، وظهر منشؤها وأصلها، فهي عداوة لا يرجى لها انتهاء.

إن هذا الإطناب في عرض تفاصيل قصة الاستخلاف الأول، وبيان ردة فعل كل من الملائكة وإبليس تجاه الأمر الإلهي في تعيين خليفة للأرض، مما تفردت به سورة البقرة عن غيرها، فكانت حقيقة كلما تليت آياتها مذكرة بأصل تلك العداوة ونشأتها أن تسبب نفور الشيطان وجنده، وتنزل الملائكة خضوعاً وإذعاناً لله واعترافاً بفضل آدم وبنيه.

(ب) تأكيد ركنية الإيمان بالملائكة مع تحقيق كفاية شر الشياطين:

وتحقيق ذلك من خلال آيات ثلاث هي:

الآية الأولى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 98]

الآية الثانية: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ كَذِبٌ عَلِيمٌ وَاللَّهُ بِأَمْرِ بَالٍ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْكِتَابُ﴾ [البقرة: 177]

الآية الثالثة: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]

فقد أشارت الآيات الكريمات السابقة إلى عظيم ما تنزلت به الملائكة من وحي وشرائع كفيلة في مضمونها لتصوير منهج الاستخلاف المخاطب به بنو آدم، وهم في ذلك - بنو آدم - مكلفون بالإيمان بهم وعدم نصب العداوة لأحدهم فهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال سبحانه: {عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون} [التحریم: 6].

⁴¹ فقد صحَّ في الحديث كما في مسند أحمد، (240/4) أنه ﷺ قال: ((وإن الملائكة لتضع أجنتها رضا لطالب العلم))، وصححه ابن حبان، (1319).

أخرجه أبوداود في سننه، من حديث أبي الدرداء، باب الحث على طلب العلم، (317/3)، حديث رقم (3641).

فمن تحققت فيه تلك الخصال الحميدة جاءته البشرى كما في ختام السورة نظير تطبيقه منهج الخلافة المناط به، المتمثل بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله مع القيام بالشرائع وتطبيق الأحكام التي أشارت إليها موضوعات السورة، والمتمثلة بأركان الإسلام وركائز الإيمان، فتمت له الكفاية من شرور الشياطين ومكرهم⁴²، فقد صح في الحديث عن الحبيب ﷺ أنه قال: ((من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)).⁴³ أي كفتاه شر الشياطين وسوء فعلهم.

وبذلك يظهر وجه العلاقة بين الإيمان بالملائكة وضرورته الدينية مع حقيقة نفور الشيطان من البيت الذي تقرأ فيه، فإنه كلما تليت موضوعات سورة البقرة معلنة وجوب الإيمان بالله وملائكته ومنهية إلى منشأ الخلاف بين بني آدم وإبليس - بعد أن رفض الإذعان لأمر الله سبحانه، ومبينة لحقيقة أمرهم { وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ } [البقرة: 102] [البقرة: 102] - نفر الشيطان بجنده، فهو يعلم فضلها واختصاصها دون غيرها بأعظم آية بكتاب الله - آية الكرسي-، فقد أخبر أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه من قرأها لا يزال عليه من الله حافظ ولا يقربنه شيطان حتى يصبح، فلما سأل النبي ﷺ قال: ((صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان))⁴⁴. فبنفوره تنزل الملائكة بالسكينة على العبد وتحصل له من البركة ما يصلح له أمر دينه ودنياه، وإلى ذلك أشارت فضائل السورة كما سبق بيانه.

وهكذا يتبين لنا جليا التعاضد بين موضوعات سورة البقرة وفضائلها، وأن هذه الفضائل قد جاءت مؤكدة ما اشتملت عليه موضوعات السورة ومنهية لما قد حوته من قيم سلوكية ومعرفية تنهض بالمسلم في أمور دينه ودنياه.

⁴² ينظر النووي، شرح مسلم، (92/6).

⁴³ أخرجه مسلم، في صحيحه، من حديث أبي مسعود الأنصاري، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (1/555)، رقم (808).

⁴⁴ أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا، (218/2)، حديث رقم: (2187).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذه جولة متواضعة أمضيته في ربوع فضائل وموضوعات سورة البقرة، أجلتُ فيها البصر وأمعنت النظر، فرأيت أن أسجل النتائج التالية:

أ- أوجه إعجاز القرآن الكريم متعددة وغير منتهية، وحصرها في بعض الجوانب العلمية دون غيرها إخراج لحقيقة كون هذا القرآن صالحاً لكل زمان ومكان.

ب- إن صياغة حقيقة قرآنية متمثلة في إيجاد العلاقة بين فضائل السورة وموضوعاتها وتوجيه اسمها تبعاً لذلك هو موضوع تأمل وتدبر، يمكن من خلاله الوقوف على عدة أوجه إعجاز أخرى متباينة.

ت- انتظمت فضائل سورة البقرة جميعاً تحت مظلة محورية واحدة تبين العلاقة بين الملائكة والشياطين والأثر المترتب على فهمها وهو ما وصف بالبركة كما في السنة المطهرة.

ث- جاءت فضائل سورة البقرة ناطقة عن موضوعاتها، وليست نتيجة عشوائية غير منتظمة.

أهم التوصيات:

- ضرورة العناية بفضائل سور القرآن، لأن عناية الدراسات الأكاديمية في هذا الموضوع قد اقتصرت في مجملها على إخراج بعض نتائج السابقين وتحقيقه، أما القضايا المنهجية لهذا الفن، فإنها لم تلق عناية واضحة من قبل الباحثين على خلاف غيرها من علوم القرآن.

- الاهتمام بمنظومة القيم التي أشارت لها فضائل السور وفق تكامل موضوعات السورة الواحدة، فهذه الدراسة وإن حاولت كانت لبنة في هذا المجال لكنها بحاجة لمزيد تدقيق ورعاية منهجية.

- إنشاء حلقات نقاشية لتفنيد شبهات الطاعنين في القرآن الكريم من خلال إبراز ما يحويه القرآن الكريم من فضائل تنطق مقاصده ومحاور سوره.

- الاهتمام بأسباب تخصيص قراءة بعض السور في أوقات محددة، وأماكن معينة، كسورة ق وسورتي السجدة والإنسان في يوم الجمعة.

- توجيه عناية المراكز البحثية وطلاب الدراسات العليا إلى ضرورة ضبط مسائل هذا الفن وترتيبه وفق منهج علمي أكاديمي.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت لإصابة الحق، فهو غرضي ومقصدي من غير نقص أو إخلال، مع القطع أن الكمال لله سبحانه وحده الذي عليه اعتماداي، وهو حسي الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع:

1. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت:1393هـ)، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون، بدون ط.
2. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت:276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، لبنان-بيروت، دار الكتب العلمية، بدون ط.
3. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرسي (ت:774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م.
4. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لبنان-بيروت، دار إحياء التراث العلمي.
5. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، لبنان-بيروت، المكتبة العصرية.
6. الأزدي، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد (ت:321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبيكي، لبنان-بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.
7. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت:256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
8. بسام جرار، المقتطف من بينات الإعجاز العددي، تقديم د.أحمد نوفل، الإمارات- جائزة دبي الدولية ، ط1، 1429هـ-2008م.
9. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت:885هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، السعودية-الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1987م.
10. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت:885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، مصر- القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
11. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك (ت:279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاکر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م.
12. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير والقرآن بإشراف فضيلة الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الإمارات-الشارقة، ط1-2010.
13. الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الملقب بإمام الحرمين (ت:478هـ)، نهاية المطلب في دراية المذهب، تحقيق عبد العظيم محمود الديب، السعودية- جدة، دار المنهاج ط1، 2007م.
14. سعيد حوى، الأساس في التفسير، مصر- القاهرة، دار السلام، ط1، 1985م.
15. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، إيتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة، 1974م.
16. الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مصر- القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر، ط1، 1997م.
17. الطيبي (ت:743هـ)، شرف الدين الحسين بن عبد الله، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسىء ب (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار مصطفى الباز، الرياض- السعودية، ط1، 1997م.
18. عبد الستار السعيد، المدخل للتفسير الموضوعي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، 2009م.

- د. عدنان بن محمد أبو عمر، أ. حمد براء بن عبد الغني الصباغ
19. عبد الكريم بن علي النملة، المذهب في علم أصول الفقه المقارن، السعودية-الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1999م.
 20. العمري، أحمد خيرى العمري، البوصلة القرآنية، القاهرة-مصر، دار المعرفة، ط1، 2016م.
 21. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت:505هـ)، جواهر القرآن، تحقيق محمد رشيد رضا، لبنان-بيروت، دار إحياء العلوم، ط2، 1986م.
 22. فهد الرومي، ضوابط الإعجاز العددي في القرآن الكريم، بحث نشر في مؤتمر دولي بعنوان: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المغرب-الرباط، 2010م.
 23. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، القاموس المحيط، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ط8.
 24. القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، مصر-القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964م.
 25. اللبائدي، أحمد مصطفى اللبائدي (ت:1318هـ)، معجم أسماء الأشياء، مصر-القاهرة، دار الفضيلة، بدون ط.
 26. محمد بن محمود خوجة، الوحدة القرآنية، دار كنوز إشبيليا، ط1، 2010م.
 27. محمد سيد الجليلند، دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، سوريا-دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط2، 1984م.
 28. محمد عبدالله دراز (ت:1377هـ)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعترف به أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ-2005م.
 29. محمود شلتوت، تفسير القرآن العظيم: الأجزاء العشرة الأولى، لبنان-بيروت، دار الشروق، ط1983، 10م.
 30. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان-بيروت، دار إحياء التراث العربي.
 31. المناوي (ت:1031)، زيد الدين محمد ويدعى بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط1356هـ.
 32. النّسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت:303هـ)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، سوريا-حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986م.